الهجرة وإشكالية الهوية: هجرة المغاربة الى أوروبا نموذجاً

Migration and the problem of identity: the migration of Moroccans to Europe as a model

عمر بسي: طالب باحث بسلك الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل القنيطرة، المغرب.

Omar Bassi: PhD student researcher, Faculty of Humanities and Social Sciences, Ibn Tofail University Kenitra, Morocco.

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى سبر أغوار موضوع الهجرة في علاقتها بالهوية ومعها الهوية الثقافية، بالوقوف على الآثار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المترتبة عليها، وما تثيره من إشكالات ذات الصلة بالهوية وقضية الاندماج والتهميش، وما تطرحه ظاهرة الهجرة من أبعاد سياسية ثقافية، وكذا المشاكل التي يعاني منها المهاجر في ديار المهجر، نظرًا إلى بُعْدِه عن موطنه الأصلي، ثقافيًّا واجتماعيًّا، وفي شتى المجالات، خاصةً في أشكال الطعام والعادات والتقاليد التي تختلف عن ثقافة بلاده، وهذا ما عملنا على تبيانه في هذا المقال.

الكلمات المفتاحية: الهجرة، الهوية، الهوية الثقافية.

Abstract:

This study aims to probe the depths of the issue of migration in its relationship to identity and with it cultural identity, by standing on the social, economic and political effects of it, and the problems it raises related to identity and the issue of integration and marginalization, and what the phenomenon of migration poses from political and cultural dimensions, as well as the problems that the immigrant suffers from. In the diaspora, given its distance from its original homeland, culturally and socially, and in various fields, especially in the forms of food, customs and traditions that differ from the culture of his country, and this is what we have worked to explain in this article.

Keywords: immigration, identity, cultural identity.

المقدمة:

لقد باتت الهجرة قضيةً أكثر حدَّةً في الوقت الحالي، ما يجعلها مثار اهتمامٍ كبير، بالنظر إلى ما توجِده مِن إشكالياتٍ على الصعد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المختلفة بمستويات عميقة، إثر ازدياد معدلات الهجرة وكثافتها، فهي ظاهرةٌ مركَّبةٌ وآخِذةٌ في التعقيد، لاختلاف دوافعها ومظاهرها، وعلاقتها بإشكاليات الهوية والاندماج، وارتباطها بالبطالة وقضايا التهميش، وغيرها.

ولعل كل هذا التعقيد والتعدد في الأبعاد الذي تطرحه هذه الظاهرة هو ما دفع العديد من الباحثين في علم الاجتماع إلى توجيه الدراسة العلمية صوبها من أجل تشخيص ما تفرزه من إشكالات. وعليه، فإننا نهدف من خلال هذا المقال إلى معرفة بعض الإشكالات التي ترتبط بموضوع الهجرة، المتمثلة في "الهوية"، وذلك كونها مدخلًا أساسًيا لمجموعة من المشكلات الأخرى، فضلًا عن المشاكل التي يعانيها المهاجرون في بلاد المهجر والتحديات التي تواجههم.

ومن هنا يمكن أن نطرح الإشكالات التي سنتناولها، من قبيل:

- ✓ ما طبيعة المسافة التي تفصل المهاجر عن ثقافة البلد المستقبل؟ وما أسباب تشكُّل أزمة الهوية لدى المهاجر؟
- ✓ إلى أيِّ حدٍّ يمكن القول إن الهوية تشكِّل عائقًا لاندماج المهاجرين المغاربة في بلاد المهجر؟
- ✓ كيف يساهم الطعام في عملية إنشاء المهاجر للموطن؟

الإطار المفاهيمي للدراسة:

1) مفهوم الهجرة:

سوف نتطرق إلى ماهية المفهوم، إذ إن الهجرة كما سبق القول ظاهرةٌ قديمةٌ قدم التاريخ البشري نفسه، إلا أنها أضحت اليوم ظاهرةً عالميةً ترخي بظلالها على جميع الدول، قد ترتبط ببلدان ينحدر منها المهاجرون، أو بلدان العبور أو بلدان الاستقبال، أو كليهما في آنٍ واحد، بالتالي يمكننا القول: إن كانت الديمغرافية قَدَرًا فإن حركة السكان محرك التاريخ[1].

[1] صامويل هنتنغتون، "صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي"، ترجمة: طاعت الشايب، ط2، دار سطور، ص318.

الهجرة لغةً: بحسب "لسان العرب" فإن "الهجرة" ضد "الوصل"، وخروج من أرض إلى أرض، و "الهجرة" عند العرب قد تعني خروج البدوي من البادية إلى المدينة، لكن المعنى قد يتسع ليصبح أرض المغادرة أو الوصول، فنقول "هجرت الشيء" إذا تركت الشيء أو أغفلته[1].

الهجرة اصطلاحًا: هي مغادرة الشخص إقليم دولته، أو الدولة المقيم فيها، إلى إقليم دولة أخرى، بِنيَّة الإقامة في هذه الدولة الأخيرة إقامةً دائمة[2].

تطلق كلمة La Migration عمومًا على حركات السكان وتحركاتهم الفردية والجماعية، لكن هذا المفهوم يبقى غامضًا، أما مفهوم L'emigration باللغة الفرنسية فيحيل على "الهجرة الداخلية" بالأساس، كما لم يدخل مفهوم "الهجرة الاستيطانية" في مجتمع الاستقبال émigration" إلى قاموس اللغة الفرنسية إلا في أواخر الثمانينيات من القرن التاسع عشر، يُعَدُّ أول من استعمل مفهوم "الهجرة" Immigration الديمغرافي الفرنسي بيرتيون سنة1884[3] .

نستشف إلى حدِّ الآن أنه لا يوجد تعريفٌ متفقٌ عليه، كل دولة لها تعريفها وقاعدتها الخاصة، على أساس أن الهجرة حدث، هي انتقالٌ من مكان إلى مكان، بمعنى آخر من مجال إلى مجال آخر، إذ توجد اختلافات ثقافية جغرافية اجتماعية اقتصادية سياسية، وقد عَرَفَ مفهومُ "الهجرة" عدة تطورات في الآونة الأخيرة، سواءٌ على المستوى الكمي أو على المستوى الكيفي، على أساس أن الهجرة اتخذت وتيرةً متزايدةً في العقود الأخيرة لتصبح جزءًا لا يتجزأ من العمليات الاقتصادية، في ظل العولمة وتداعياتها التي تعرفها اليوم، نجد أن للهجرة مصطلحاتٍ عديدة، ولهذه المصطلحات معاني كثيرة.

2) الهوية:

يقول كوتلوب فريج Gottlob Frege في وصفِه صعوبة تفسير مفهوم "الهوية" إنها غير قابلةٍ للتعريف، إذ إن كلَّ تعريفٍ لها بحدِّ ذاته يشكِّل هويةً، ولذلك حسب رأيه لا يمكن وضع تعريفٍ لها. رأي فريج يعكس مدى تعقيد مفهوم "الهوية" وغموضه، فهو إشكاليٌّ يحتمل عدة تفسيراتٍ معقدةٍ ومركَّبة، وقد ازداد تعقيدًا شيوعه وعبوره للنظريات والاختصاصات، فكان وما يزال مجالًا للأبحاث الاجتماعية والفلسفية واللغوية والسياسية والتاريخية[4].

[1] محمد غربي وآخرون، "الهجرة غير الشرعية في منطقة البحر الأبيض المتوسط: المخاطر واستراتيجيات المواجهة"، ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع، 2014، ص20.

[2] المرجع السابق، ص20.

[3] عزام أمين، "سيكولوجيا المهاجرين استراتيجيات الهوية واستراتيجيات التثاقف: دراسة تحليلية نظرية"، الدوحة: مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 2016، ص16-17.

[4] علي أسعد، "الهويات الأصولية في زمن التصادم"، دمشق: وزارة الثقافة، فبراير 2010، ص 45.

في المقابل نجد تشارلز تايلور Charles Taylor يعبِّر عن الهوية ويقول إنها تعني مَن نَكون، فهي المكان الذي ننتسب إليه، إنها تجسد بحقٍّ الخبرات والتجارب السابقة التي تضفي معنى على أذواقنا ورغباتنا وخياراتنا ومطامحنا[1].

وقد جاء مفهوم "الهوية" في كتاب "علم الاجتماع" لصاحبه أنتوني غيدنز، إذ يتعلق بفهم الناس وتصورهم لأنفسهم ولما يعتقدون أنه مهم في حياتهم، ويتحدث علماء الاجتماع في العادة عن نوعين من الهوية: الهوية الاجتماعية والهوية الذاتية أو الشخصية، ويمكن التمييز بينهما عن طريق التحليل على الرغم من ارتباطهما ارتباطًا وثيقًا.

3) الهوية الثقافية:

نستطيع تعريف "الهوية الثقافية" بأنها هوية ثقافة محددة، أو هوية مجتمع محدد، أو هوية شخص محدد كونَه سيقع عليه تأثير الهوية الثقافية لمجتمعه أو لجماعته التي ينتمي لها.

إن حصر مفهوم "الهوية" في الموروث الثقافي يجعل من الممكن بالضرورة تكوين أشكال بيانية لأنماط وسمات وسلوك ووظائف الفرد والجماعة لتصبح لصيقةً بهم مطلقًا، فإن مجموعةً من الخصائص الثقافية لها القدرة على الانتقال من جيل إلى جيل ومن بيئة إلى بيئة عبر توارثها بين الفاعلين الاجتماعيين، وذلك بحسب ما يقول عبد الغني عماد في كتاب "سوسيولوجيا الهوية، جدلية الوعي والتفكك وإعادة البناء".

4) أزمة استئصال الهوية:

إن ما يضعنا أمام البحث في واقع حال المهاجر في بلد الاستقبال، هو ذاك الانتقال من انتماءٍ واضحٍ وقابلٍ للاستيعاب من طرف الآخرين، إلى وضعية معلَّقة لا تُفْهَم! لا على أساس سلبيّ، أي ما ليس هو حينما ننظر إليه من زاوية المُواطن المقيم في بلده، إذ يبدو (مثلما قال محمد هاشمي في مقاله "المهاجر في مواجهة الامتناعات النظرية" المنشور على موقع مؤسسة "مؤمنون بلا حدود")، زائدةً على الهوية المركزية، أو لم يعده عند استحضار هويته الأصلية التي لم تَعُدْ قادرةً على أن توفِّر له مستقرًّا آمنًا، أو أنها تبدَّدت بفعل عوامل تاريخية، مما يدعونا إلى طرح الإشكالات التالية: ما طبيعة المسافة التي تفصل المهاجر عن ثقافة البلد المستقبل؟ ما أسباب تشكُّل أزمة الهوية لدى المهاجر؟ إلى أي حدٍّ يمكن الحديث عن إمكانية انصهار هوية المهاجر؟

بالنسبة لكارمل كاميليري، يعيش المهاجر نوعًا من الصراع بين قيم ومعايير ثقافته من جهةٍ، وقيم ومعايير ثقافة المجتمع المضيف من جهةٍ أخرى، ما يشكِّل ضغوطًا نفسيةً عليه، ولتجنُّب هذه

[1] حسام الدين علي مجيد، "انبعاث ظاهرة الهويات: قراءة في منظور المفكر الكندي تشارلز تايلور"، موقع "مؤمنون بلا حدود"، 2016/12/22م.

الضغوط يلجأ شعوريًّا ولا شعوريًّا إلى اختيار استراتيجيات هوياتية متعددة، وذلك بحسب الأولوية التي يوليها للوظيفة الأنطولوجية أو الوظيفية البراغماتية ودرجة الانسجام بينهما، بسيطًا كان أو مركبًا أو خفيفًا.

هكذا، وعلى سبيل المثال، أظهرت الدراسات أن الهجرة، سواءٌ أكانت طوعيةً أو قسرية، كما هي الحال في أثناء الحروب والكوارث الطبيعية، فرديةً أو جماعية، لها آثارها النفسية في الفرد المهاجر، وأُولى هذه الدراسات كانت عام 1912، إذ أشار بولاك Pollak إلى أن الاضطرابات العقلية أكثر شيوعًا بمرتين في أوساط المهاجرين في مدينة نيويورك مقارنةً بالسكان الأصليين، كما توصل أودغار Odgaard إلى النتيجة نفسها في دراسةٍ أعدَّها على المهاجرين النرويجيين في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1932 وأظهرت دراسته أن هؤلاء المهاجرين أكثر تعرُّضًا للإصابة بالأمراض النفسية. ومن هذه الدراسات يمكن ذكر البحث الذي أعدَّه لاسري وسيغال 1975 Lasry et Sigal ودراسة بيري وكيم عام 1987 وتوسونيان 1991 Toussignant وأريون Aroan 1993.[1]

يلاحِظ ألان Alain ehrenberge في كتابه الأخير المعنون بـ "la fatigue d'étre soi" إلى أي مدى يشكِّل الاكتئاب تمظهرات يتزايد تواترها وتسويقها إعلاميًّا ومناقشتها بين الخبراء وتعاش عبر آلام نوعية يولِّدها الوجود المعاصر، فلقد أصبح الاكتئاب أكثر الأمثلة شيوعًا والدالة على أزمات الهوية الشخصية، وبعد أن يشخِّص آلان شيوع شكل الفرد والضغط المعياري إلحاح أن يكون ذاته، وأن يتحقق من بناء هويته الشخصية ثم أن يتجاوز نفسه وأن يكون رفيع الأداء، وهو ما يولِّد هذا هوياتي المزمن أحيانًا، والذي غالبًا لا تجري معالجته بالأدوية النفسية المتطورة أكثر فأكثر كما تعالجه أحيانًا عقاقير تتزايد إشكالياتها وتصاحبها علاجات نفسية يتزايد تنوعها.

تزداد مهمتنا صعوبةً عندما نعود لطرح التساؤل القائل: ما طبيعة المسافة التي تفصل المهاجر عن ثقافة البلد المستقبلي؟ ما يحيلنا إلى ما جاء في كتاب "أزمة الهويات" لصاحبه كلود دومار: "نعرف جيدًا أحد الأشكال التي اتخذها هذا اللجوء، الكبش الفداء، في فرنسا، يقصد هنا بكبش الفداء ذاك الغريب أو الآخر القادم من مجموعةٍ ثقافيةٍ غريبةٍ وما بعد ذلك من عنصريةٍ وكراهيةٍ للأجانب (كراهية العربي) ذاك الذي يأتي ليستولي على خبزنا، الذي يعيش من المساعدات على حسابنا، الذي يستنشق هواءنا ويعتدي علينا بضجيجه وروائحه وعاداته".

[1] عزام أمين، مرجع سابق، ص16-17.

بات إذن تغيُّر النموذج الثقافي يقتضي أن يكون المرء قويًّا وبصورة خاصة أن يكون هو نفسه، بمعنى حلول الفرد الساعي لاكتساب هويته الشخصية محل الفرد المتكيف الذي يطبِّق معايير وسطه وثقافته وطبقته الاجتماعية.

إن ما هو مهمٌّ كي تُحدَّد هوية جماعةٍ ما، ليس فقط ما تحمله من خصائص ثقافية، بل تلك الخصائص التي يراها أعضاء تلك الجماعة خصائص تثبت اختلافهم الثقافي، فتمايز الهوية لا يُعدُّ نتيجةً لتمايز الثقافة بشكل مباشر، فإن ثقافةً محدَّدةً بعينها لا ينتج عنها هوية متمايزة، بل تنشأ من تفاعل المجموعات وعبر علاقاتها مع بعضها.

وبناءً على ما سبق، فإن للهوية صورةٌ أخرى هي الانتماء، تكمِّلها، يتسم بها كلُّ فرد وعلى الصعد كافة، ويتكوَّن الانتماء لدى الأفراد منذ طفولتهم، ويزداد قوةً عبر التنشئة، ثم ما يلبث أن يتحوَّل ذلك الشعور إلى سلوك في داخل المجتمع.

في السياق ذاته، يرى المفكرُ عبد الله العروي في مسألة ربط العرب هويتهم بتاريخهم القومي أنه إذا انعدم الإحساس العفوي بالذات، يلجأ الأفراد للماضي لتأكيد هويتهم مضطرين، فتصير الهوية معنًى مرادفًا لاستمرار التاريخ، لتحمِل معنى ما خلَّفه السلف. وإن كانت الهوية تحمل معنى إدراك الذات مدعومًا بعوامل مجتمعية خارجية، فالانتماء إحساس بتلك العوامل يطبَّق على الأرض عبر سلوك يتسم بالولاء للمجتمع الذي ينتمي له الفرد دون غيره من المجتمعات.

يطالب المهاجر بألَّا يعُود إلى وطنه الأم، ويريد هويةً لا توصَم بالغرابة ووطنًا بديلًا دون أن يتخلى عن هويته، بل يطالب أن يتسع الوطن البديل وتمنحه مكانًا، ليعوِّض بذلك مجال انتمائه وخلفيته التاريخية والثقافية، وهذا ما تعبِّر عنه ازدواجية الجنسية التي هي مظهَر احتيالي على مفهومي المواطنة والانتماء.

إن ما يقابل ذلك الازدواج مطلبُ الاندماج الكامل، عبر معاملة المهاجر كمادةٍ خام تجري عليها عمليات إدماجٍ ثقافيةٍ للوصول إلى التطبيع والتوطين، فيمكن بذلك أن يُتجاوَز أيُّ توتُّرٍ بين مفهومي الإنسان العامّ والمواطن المحيَّز، لكن ذلك يُعَدُّ تصفيةً ثقافيةً للمهاجر، يرى الهوية الثقافية رؤيةً سطحيةً كونها زيًّا تقليديًّا بالإمكان أن يخلص المهاجر منه قبل عبوره البلاد الجديدة، ولا يرى أولئك أن الأمر أعقَد من هذه النظرة، فليس الخروج من الوطن الأمِّ بالضرورة خروجًا من عباءته الثقافية[1].

[1] محمد هاشمي، "مهاجرون في مواجهة الامتناعات النظرية"، مؤسسة "مؤمنون بلا حدود"، مجلة يتفكرون، العدد 11، 2017، ص35.

السياق التاريخي للهجرة المغربية إلى فرنسا:

لقد لعبت الحرب العالمية الأولى دورًا مهمًّا في بداية الهجرات المغربية الأولى إلى فرنسا، وكانت سنوات الحرب العالمية الأولى بمثابة السنوات التي أثارت ما نسميه بـ "الهجرات المجندة أو المعسكرة"[1]، إذ استطاع من خلالها الجنود المغاربة اكتشاف عالَمٍ آخَر، وانعكس ذلك على البنى الاجتماعية والنفسية عبر الهجرة إلى فرنسا، إذ إن هؤلاء الجنود الذين شاركوا في الحربين العالميتين الأولى والثانية أصبحوا رجالًا "مغتربين، وتابعين لدرجة استلابهم، وذلك لكونهم تعوَّدوا واكتشفوا العيش في مجتمعٍ استهلاكيٍّ أثار إعجابَهم اجتماعيًّا ونفسيًّا وثقافيًّا.

عمومًا، إن هجرة الجنود المغاربة أو العمال في إطار الحرب العالمية الأولى مكَّنت هؤلاء المغاربة من مقارنة وضعيتهم مع وضعية الأوروبيين الذين احتكُّوا بهم، من هنا اكتسب المغاربة وعيًا اجتماعيًّا بوضعيتهم التي حتَّمت عليهم الهجرة، وقد عَرَفَت الهجرة المغربية إلى أوروبا عمومًا تطورًا ملحوظًا بعد الاستقلال سنة 1956، وقد هاجرت مجموعةٌ من المغاربة إلى فرنسا بعد توقيع معاهدة "اليد العاملة" سنة 1963، وكان ذلك للحدِّ ما أمكن من اليد العاملة الجزائرية وهيمنتها في داخل أكبر المنشآت الصناعية بشماليّ فرنسا، وقد تميزت هذه الهجرة بكونِها ذكوريةً غيرَ مؤهَّلة، قادمةً من مناطق قروية من جنوبي المغرب وشماليِّه الريفي.

وبناءً على ما تقدَّم، بتنا نعلَم أن هجرة المغاربة الدولية نحو فرنسا كانت نتيجة عمليات معقَّدةٍ تداخلت فيها ظروف داخلية وأخرى خارجية، فكان توقيع الحماية إطارًا قانونيًّا لفرنسا يشرعن الغزو الفعليّ[2]، إذ أطلقت على عملياتها العسكرية في البند الثاني من عقد الحماية كلمة "التهدئة"، وبذلك استغلت فرنسا البنيات القائمة ومنحتها روحًا جديدةً من أجل اختراق المجال والمجتمع، وإحداث التغيير الذي يَخدم عمليةَ توظيف إمكانات المغرب لخدمة الحاجات الفرنسية، هذا بالإضافة إلى ضرب الأسس المادية للبادية المغربية التي تتمثل في حيازة الأراضي واستقلال سلطات الحماية لضعف الوعي بالشروط القانونية[3]، فكان نتيجة ذلك تفقير البادية المغربية[4]، ومع الإلغاء الرسمي لعهد الحماية (1956) دخل المغرب مرحلةً صعبةً في جميع المستويات، مما مهَّد للهجرة المغربية. هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى فمن المعلوم أن القرن العشرين كان قرن الأزمات والتحولات على

---

[1] عبد الكبير عطوف، "كتاب الهجرات العالمية والمغربية قضايا ونماذج (1045-2011)"، ط2، الرباط: جامعة ابن زهر، 2012.

[2] خالد اعسو، "الهجرة المغربية إلى فرنسا (1912-1974) أي موقع للشباب"، مجلة عمران، العدد 22، خريف 2017، ص96.

[3] المرجع السابق، ص12.

[4] عبد الله العروي، "مجمل تاريخ المغرب"، الجزء الثالث (من الغزو الإيبيري إلى التحرير)، ط2، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2000، ص163.

الأصعدة كافة، ويتمثل ذلك في الحربين العالميتين، وكان من الضروري استعانة فرنسا بالثروات البشرية المغربية، دون أن نغفل عن تنامي الحركات التحررية في كلٍّ من إفريقيا والشرق الأوسط، الأمر الذي أدى بفرنسا إلى الاستعانة بساكنة المستعمرات لمواجهة المدِّ التحرري.

الهجرة المغربية للخارج وسؤال الهوية والمواطنة:

على الرغم من كلِّ ما قطعته الإنسانية من مسافاتٍ تاريخيةٍ وحضاريةٍ لتغيير التعامل القديم مع "الأجنبي" أو "الغريب"، ما يزال هذا المفهوم، سواءٌ في لبوس المهاجرين أو تحت مظلات تدفُّق اللاجئين، سواءٌ الفارّين من ويلات الحروب أو من قساوة الطبيعة (الهجرة المناخية)، يعانون من النظرة الاحتقارية والإقصائية نفسِها، على الرغم من الخطابات التي تدَّعي أغلب الدول الكبرى تبنِّيها من قبيل الديمقراطية والانفتاح على الآخر وانتشار أفكار حقوق الإنسان منذ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948، وما يزال المهاجرون المغاربة يعيشون الهجرة كشكلٍ من أشكال الخلاص الذاتي وصورةٍ من صور الانفلات من القوى الضاغطة (السياسية والاجتماعية، والدينية والثقافية والقومية)، ففي كتابها "الدياسبورا المغربية في أوروبا"، عَدَّت الكاتبة زكية داود أن ما عاشته الجالية المغربية المقيمة في الخارج لم يكن هيّنًا، فقد عانت الرحيل والمنفَى والغربة، واضطرت للهجرة إلى بلدان معادية لها من أجل العمل، دون أن نغفل معاناتها من اللا تسامح والاحتقار والاجتثاث والفقر، وكان لا بد لها من التأقلم مع هذا الوضع، هذا ما تحدَّث عنه أيضًا الراحل عبد المالك الصياد في كتابه "الغياب المزدوج"، حينما عَدَّ الهجرةَ انفصامًا وفقدانًا للجذور واقتلاعًا واجتثاثًا لها، وتحدَّث في كتابه أيضًا عن الحنين للوطن الأصل والغربة و"الحكرة" والفراق والمعاناة، وحلم العودة والأسى.

إن المهاجر، إذن، يبقى على ارتباط بمنطقة انطلاقه أحيانًا يتعزز بصورةٍ كاملةٍ أو مؤقتةٍ فتختلف إزاء ذلك تفسيرات الفعل، فحسب الطرح الفيبيري (نسبةً إلى ماكس فيبر) إن المهاجر يُعَدُّ فاعلًا عقلانيًّا عند تركه لمجالٍ لا يوفر له الإمكانات، إلى مجالٍ محفِّزٍ ومحقِّقٍ لذاته، وتُعَدُّ علاقة المهاجر بموطنه الأصلي فعلًا عاطفيًّا يتجلى في زيارات المهاجرين المتكررة للموطن الأصل وتشبُّثهم بهويتهم، ويُعَدُّ المغرب تجسيدًا واضحًا لظاهرة الهجرة، فهو من جهةٍ منطقة انطلاق، ومن جهةٍ أخرى بؤرة استقطاب الأفراد المقيمين بالمهجر، فيَعرف زياراتٍ موسميةً أو عودةً نهائيةً للبعض منهم، وهذا يدل على مدى ارتباط الأفراد بمجتمعاتهم الأصلية، مما يجعلنا نتحدث عن مسألة الحضور والغياب في الآن ذاته، من خلال تفاعلات المهاجرين مع موطنهم الأصلي في بلاد الوصول، كل هذا يحيلنا إلى الحديث عن المهاجرين المغاربة وتبعات الهجرة، فعلى الرغم من التحولات الكبرى التي شهدها العالم ما يزال المهاجرون المغاربة في ارتباطٍ وثيقٍ بوطنهم[1].

[1] المصطفى المريزق، "الهجرة المغربية وسؤال الهوية والمواطنة في ضوء الدستور الجديد"، المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، عدد مزدوج 109-110، مارس ويونيو 2013.

فقد ارتبطوا في فتراتٍ عصيبةٍ بالوطن، ودافعوا عنه في خلال فترة الاستعمار وناضلوا من أجل الحرية والاستقلال، ويتمثل ذلك في تأسيس "جمعية الطلبة المسلمين في شمال إفريقيا" التي كانت تضم إلى جانب المغاربة جزائريين وتونسيين، وهي معروفة أيضا بـ "115 بشارع سان ميشيل" التي تأسست سنة 1927، إذ برزت بأنشطتها الإصلاحية والثقافية والاجتماعية وبمواقفها الوطنية[1]. هذا بالإضافة إلى جمعية "العمال المغاربة" في كلٍّ من فرنسا وهولندا، وكذا اتحاد "العمال المغاربة" بألمانيا، وهذا إن دل على شيءٍ، فإنه يدل على تشبُّث المغاربة المهاجرين بهويتهم المغربية، ولعل ما يؤكِّد ذلك هو ربط هذا التاريخ بحاضر التحولات التي شهدها مغرب العهد الجديد من المؤتمرات في هذا الصدد من قبيل مبادرةٍ للحوار عبر الوطني للهجرة المغربية في أمستردام سنة 2005، وما تلاها من لقاءاتٍ وأنشطةٍ في الداخل والخارج، من بينها ندوتا بروكسيل ومدريد اللتان خلصتا إلى تنظيم مناظرةٍ وطنيةٍ في المغرب بمشاركة كل الأطراف المعنية بقضية الهجرة والمهاجرين، هذه الدينامية الجديدة عَدَّها البعض استمراريةً نضاليةً للعديد من تجارب التنسيق بين الجمعيات المغربية في أوروبا، هذه الأخيرة التي شهدتها حركة الهجرة منذ السبعينات من القرن الماضي، كما جاءت بعد أول اعترافٍ رسميٍّ بجمعيات المهاجرين يوم الثالث من أكتوبر عام 1998.

وفي خضم هذه الأحداث لا يسعنا سوى طرح الإشكال التالي: إلى أي حدٍّ يمكن القول إن "الهوية" تشكِّل عائقًا لاندماج المهاجرين المغاربة في بلاد المهجر (بلد الوصول)؟

دعونا نعود إلى مفهوم "الهوية"، الذي يمكن أن نرجعه إلى تلك الخصوصيات الثقافية والقيمية والاجتماعية التي يكون قد تلقَّاها الفرد من التنشئة الاجتماعية في إطار ثقافة معينة، لكن يوجد من يؤكِّد أن الهوية في مستوياتٍ معينةٍ تتأثر تأثُّرًا ملحوظًا بسياق تناميها وتطورها المتغير. وفي هذا الصدد يرى أحد الباحثين أن الهوية غير ثابتةٍ وغير مغلقةٍ أيضًا، ويقول آلان تورين في هذا الصدد: "من المهم أن نفهم أن الحقوق الثقافية امتدادٌ للحقوق السياسية، على أساس أن هذه الأخيرة يجب أن يتمتع بها كل المواطنين، في حين أن الحقوق الثقافية تحمي جماعاتٍ معينةً أو أقلية"، والتي من بينها الجالية المغربية المقيمة في الخارج ، إلا أن المطالبة بالحقوق الثقافية أصبحت مهددةً بالعنصرية، وبذلك تصبح الهوية مرتبطةً بمجموع الفوارق الثقافية التي تفصل بين مجموعةٍ وأخرى، وفي ظل هذا التمييز الوافد الذي يعبِّر عن "هويةٍ هجينةٍ" بالنسبة للبلد المستقبل، تُطرَح إشكالات أخرى مثل التهميش والعنصرية اللذين يَختزلان في طياتهما مفهوم الاغتراب، وهذا هو الإشكال الذي أصبح مطروحًا عندما يتعلق الأمر بالمهاجرين المغاربة، إذ تضيع منهم هويتهم ابتداءً من اللغة والسلوك، فالكثير من المغاربة اليوم لم يعودوا يحافظون كثيرًا على مواطنتهم في داخل البلدان التي

[1] ويكيبيديا الموسوعة الحرة، جمعية الطلبة المسلمين في شمال إفريقيا.

يعيشون فيها[1]، نظرًا لما يتاح لهم من إغراءاتٍ من قبيل تسوية أوضاعهم ومنحهم امتيازات وغير ذلك، ومن ثمة يكون القبول بالاندماج في نظر العديد حلًّا، هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى فيما يتعلق بالحفاظ عن الهوية الثقافية ففي هذه الحالات يبقى الأمر معلَّقًا، وقد نلاحظ ذلك من خلال لجوء عددٍ من المهاجرين إلى الزواج من المرأة الغربية "كمنقذ" للحصول على فيزا الهجرة، هذا بالإضافة إلى عدم تواجد مؤسسات تربوية في مجال التعليم بالمدن الغربية المضيفة تعمل على تلقين اللغة الأم، الأمر الذي يجعلنا نتحدث عن اندثار الثقافة والتقاليد المغربية، فضلًا عن فقدان الحنين إلى الوطن وما كانت تلعبه في امتداد الثقافة الأم[2].

بالتالي، إن المهاجر يبحث عن اندماجٍ يخلِّصه من "الاغتراب"، اندماج يكون غالبًا انصهارًا لخصوصياته الثقافية.

لطالما شكَّلت الهجرة موضوعًا خصبًا للدراسة لكل العلوم، الشيء الذي يجعلها موضوعًا يمرُّ على قاطرة التخصصات المعرفية كافة، مع إقرار كل واحدة منها لرؤيتها الخاصة لموضوع الهجرة والمهاجر، وهذا التنوع المعرفي راجعٌ لأنها (أي الهجرة) في تغييرٍ دائمٍ لمكنزماتها وديناميتها المرتبطة بالأفراد، حتى الأسباب والدوافع وراءها، إضافةً إلى استراتيجيات التأقلم أو بالأحرى الاندماج والتكيف، في ظل نوعٍ من التيه وإحساسٍ بالحرمان والتناقض والاختلاف الثقافي والهوياتي، إن صح التعبير.

ما الشيء الذي يدعونا بالضرورة لسبر أغوار هذا التيه أو الأزمة بالأحرى؟ وما مدى تعامل المهاجر معها؟ وهل يقف المهاجر مكتوف الأيدي أمام هذه الأزمة أم يحاول أن يخلق بدائل؟

بالعودة إلى مفهوم الثقافة مرورًا بالهوية ووقوفًا على الطعام ودوره في عملية إنشاء الموطن، فقد حظي مفهوم الثقافة بالعديد من التعريفات، الشيء الذي جعل منه مفهومًا غامضًا غير واضح، أو بالأحرى من المفاهيم الأكثر جدليةً وإشكالًا في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وذلك لتعدُّد معانيه، لكن يبقى تعريف تايلور للثقافة، من أبرز وأكثر التعارف تداولًا، إذ يَعُدُّ الثقافة "مُجمَل معقَّد يَضمُّ العلومَ والمعتقداتِ والفنَّ والطبائعَ والقانونَ والتقاليد، وأيضًا كل تصرفٍ أو ممارسةٍ يكتسبه الإنسان الذي يعيش في المجتمع"[3]، أي كل ما تكتسبه في داخل المجتمع بصفتك عضوًا فيه، إذ يَعُدُّ هذا الأخير الثقافة بمثابة الملجأ الذي يحتمي و يدافع من خلاله عن ذاته من الذوبان[4]، وهذا ينطبق

[1] محمد المستاري، "إشكالات مرتبطة بموضوع ظاهرة الهجرة الخارجية: إشكالية الهوية نموذجًا"، موقع الحوار المتمدن، 2011.

[2] أنتوني غدنز، "علم الاجتماع"، ترجمة وتقديم: فايز الصياغ، ط4، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005، ص326-327، ص341.

[3] بيار يونت – ميشال إبراز وآخرون، "معجم الأنطولوجيا والأنثروبولوجيا"، ط1، بيروت، 2006، ص424.

[4] أحمد خواجة، "الذاكرة الجماعية من مرآة الأغنية الشعبية"، تونس: منشورات البحر الأبيض المتوسط، أكتوبر 1998، ص12.

على المجتمع ككل، إذ إن المعيار الأساسي للظواهر الثقافية "اشتراك مجموعةٍ من الناس في بلورة موقفٍ ما أو ابتداء مجموع المعارف والفنون والآثار الثقافية التي تساعدهم على تحقيق التواصل والاستمرارية لنمطٍ مجتمعيٍّ معينٍ أو نقضه، ونحت نمط آخر يستجيب لطموحات تلك المجموعة ولمنطق الحركة التاريخية[1]، لأن الثقافة ليست ذات طبيعةٍ ثابتة، وهذا راجعٌ بالضرورة لكونها منتوجًا إنسانيًّا بالدرجة الأولى، وهذا بالضرورة يحيلنا إلى مفهوم الهوية، لأن الثقافة من المكونات الأساسية لهوية الإنسان، وتأثيراتها عليه ظاهرة في جميع مناحي حياته، وقبل خوض غمار تحديد مفهوم "الهوية" لا بد من الإشارة إلى أن هذا المفهوم ذو طابعٍ إشكاليٍّ معقَّد مركَّب يحتمل العديد من المعاني والتفسيرات، الشيء الذي جعل "كوتلرب فريج" يختزل هذه الصعوبة في قوله "إن مفهوم الهوية غير قابل للتعريف، لأن كل تعريف بحد ذاته هوية، ولذلك لا يمكن تعريف الهوية"، ولكن هذا لا يمنعنا من محاولة إعطاء تعريفٍ يوضِّح قليلًا مفهوم "الهوية"، وتتعلق الهوية عمومًا بفهم الناس وتصوُّرهم لأنفسهم ولما يعتقدون أنه مهم في حياتهم، ويوجد نوعان من الهوية: الاجتماعية والذاتية[2]، ويمكن توضيح هذا الأخير من خلال العودة إلى مفهوم "الذات التنَوُّرِيَّة" التي رأت في أن الإنسان بصفتِه ذاتًا تمتلك النزعة المركزية بالكامل، وفردًا موحَّدًا يتمتع بقدرات العقل والوعي والفعل، متجاهلًا أن الهوية تتشكل أيضا من التفاعل مع بقية الفاعلين، وهكذا تقطِّب الهويةُ الذاتَ على البنية، وتتشكَّل الهوية من خلال التفاعل بين الذات والمجتمع[3]، ولصعوبة وتشعُّب هذا المفهوم كان لا بد من العودة إلى نظرية "استراتيجيات الهوية" عند "كارمل كا ميليري"، خاصةً في الجانبين الأول والثاني، لأنه عَدَّ أن للهوية ثلاثة جوانب يعبِّر كلٌّ منها عن وظيفة محددة:

الجانب الأنطولوجي: هذا الجانب يمثِّل وظيفةً معنويةً، إذ للهوية دورٌ مهمٌّ يجعلها تنتج الذوات الفردية والجماعية، وتؤكِّد سماتها وجوهرها، وتمنحها معنًى خاصًّا، وإحساسًا بتناغمها ووحدتها، عبر تمثيل ثقافة الجماعة التي كانت نشأة الفرد في داخلها، ويسمَّى ذلك بـ"الهوية الوجودية".

الجانب البراغماتي: لهذا الجانب دورٌ يتمثل في وظيفة الإدماج، في بيئة الفرد المليئة بالتنوع والتناقض وانعدام التناغم والتوافق، تلك البيئة التي يهدِّد انعدام الانسجام فيها هوية الفرد، تواصل السعي لتحقيق اندماج الفرد وتكيُّفه معها في محاولاتٍ مستمرةٍ، فيغيِّر الأفراد سلوكياتهم ويعدِّلونها لتنسجم مع واقع بيئاتهم الجديدة، ويسمَّى ذلك بـ"الهوية الواقعية"[4].

وإذا كان هذا ما تؤديه الهوية في حالة المجتمع الأصلي، أي المجتمع الذي تلقَّى فيه الفرد تنشئته الاجتماعية بصفته عضوًا في المجتمع، فإلى أي حد يمكن أن يساعد ذلك في عملية إنشاء

[1] المرجع السابق، ص12.

[2] أنتوني غدنز، "مصدر سابق.

[3] ستيوارت هول، "حول الهوية الثقافية"، مجلة إضافات، العدد الثاني، ربيع 2008، ص139.

[4] عزام أمين، مرجع سابق، ص28-24.

المهاجر للموطن؟ بما أن الهوية في حالة عدم الانسجام، تحس أنها مهدَّدةٌ ما يجعلها تسعى إلى الاندماج، هذا ما يحس به المهاجر عندما يصل إلى بلد الوصول، ويجد نفسه أمام التنوع والتناقض والاختلاف مع هويته، ولكن هذا لا يجعله يقف مكتوف الأيدي أمام هذا الوضع، بل يغير من سلوكياته وممارساته من أجل أن ينسجم مع هذا الوضع الجديد، وقد يتجلى ذلك في عملية إنشاء المهاجر للموطن من خلال الطعام.

وإذا كانت الثقافة ذلك الملجأ الذي يحتمي ويدافع من خلاله الفرد عن ذاته من الذوبان، أي يخلق لنفسه هويةً ثقافية، ألا يتجسد ذلك في عملية إنشاء المهاجر للموطن؟ وهل في إنشائه للموطن خلقٌ لنوعٍ من الاندماج أم العكس؟ وقبل خوض غمار الحديث عن الموطن وعلاقته بالمهاجر، لا بد من الوقوف على العديد من الأفكار التوضيحية.

خلصت دراسة أعدَّها مصطفى كوك وجينيفر ويلز، من جامعة رايرسون – تورونتو، إلى أن الطعام يمثِّل ما هو أكثر من مجرد مصدر للحفاظ على التوازن البيولوجي، فهو عنصرٌ أساسيٌّ من عناصر ثقافتنا، ويلعب دورًا هامًّا لشعورنا بهويتنا، إذ إننا نكتسب عاداتٍ غذائيةً معينةً نتيجة هذه هوية الثقافية الخاصة بالطعام، ذلك أساسٌ مهمٌّ لإحساس الفرد بهويَّته، تلك الصيغة الاجتماعية التي تتصف بديناميكيتها، تُشكَّل ويعاد تشكيلها ضمن بيئاتٍ اجتماعية تعكس ما يُعاش فيها، وتضمُّ تأثيراتٍ اجتماعيةٍ واقتصاديةٍ وتاريخيةٍ وأخرى فرديةٍ توجِد أخيرًا خيارات الفرد الغذائية.

الطعام في عملية إنشاء المهاجر موطنًا:

ونقصد بعملية "إنشاء الموطن" هنا التعريفَ الذي أعطاه أستاذ الأنثروبولوجيا والنظرية الاجتماعية بجامعة ملبورن غسان الحاج، إذ عَدَّها بناء الشعور بالوجود "في ألفة وحميمية البيت"، وبهذا يُعَدُّ البيت منشأً شعوريًّا: صرحًا شعوريًّا مبنيًّا من لبناتٍ شعوريةٍ، وكي يُشيَّد هذا البناء الشعوري بنجاح يجب أن يُبنَى بلبناتٍ شعوريةٍ تؤمِّن، إما بحدِّ ذاتها أو بالاشتراك مع لبناتٍ أخرى، أربعةَ أحاسيس رئيسية: الأمان والألفة والجماعة وشعور بالإمكانية أو بالأمل[1].

ويجب عدم الخلط هنا بين الحنين إلى الماضي ومرض الحنين إلى الوطن، لأن هذا الأخير "حالة تُضْعِف فيها الذكرياتُ التي يحملها الفرد عن وطنه مقدراته وتُنتِج وضعًا من السلبية يمنعه من "توظيف إمكاناته" في البيئة التي يعمل فيها[2]، بينما الحنين إلى الماضي يمكن أن يُفهَم فهمًا إيجابيًّا على أساس أنه ذكرياتٌ تمدُّنا بالقوة، لأنه دمجٌ فاعلٌ للذكريات في بناء الحاضر والمستقبل.

[1] غسان الحاج، "الهجرة ودور الذاكرة والطعام في عملية إنشاء موطن"، مجلة إضافات، العدد الثاني ربيع – لبنان، 2008، ص11-12.

[2] المرجع السابق، ص10.

وهذا البحث عن الشعور أو هذا البناء، بألفةٍ وحميميةٍ، أي "لبنات شعورية" يستخدمها المهاجرون ليشعروا بها حيثما كانوا على صعيد الواقع، وتشكّل جزءًا من استراتيجيات الاستقرار التي يلجأ إليها المهاجر، ويوفّر لنفسه قاعدةً أفضل لمواجهة الحياة في بلد الوصول ولخوض غمار تلك الحياة لبناء ملاذٍ من الأزمة "الاجتماعية والثقافية"، وقاعدةٍ يُستنَد إليها لإدراك وانتهاز الفرص المتوفرة في بلد"، لا محاولة للهروب من واقع الدولة المضيفة، أي أن الذكريات بالنسبة إلى المهاجر جزءٌ من عملية بناء المستقبل، ولا تتحوَّل إلى شكلٍ من أشكال ترسيخ الذات في الماضي إلا في حالات مرضية معنية[1]، "ولا تعدو مشاعر الحنين إلى الماضي عن كونِها ذكرياتٍ عن خبراتٍ ماضيةٍ يضفي عليها خيال المرء من موقعه الراهن صبغةَ الألفة والحميمية، ومشاعر الحنين تلك لا توجد فقط في حياة المهاجر، بل في حياة كل إنسان، وتوجّه هذه المشاعر عمليةَ إنشاء الموطن في الحاضر، لأن الفرد يسعى لتعزيز الحميمية والإحساس الذي يألفه[2].

وسأوضح فيما يلي ممارسات إنشاء الموطن التي تتمحور حول مشاعر الحنين التي يستثيرها إنتاج الطعام اللبناني وتناوله، انطلاقًا من المقابلات التي أقحمها الباحث في المقال وبعض الإضافات، إذ شاركت الباحثة في شؤون المطبخ السوري، في موقع "مطبخ الغربة"، بفقرتها "ألف طبخة وطبخة" من أجل تقديم وصفاتٍ منزليةٍ سوريةٍ تقليدية، إضافة إلى تجاوز الصعوبات بإيجاد مواد بديلة للمكونات المطلوبة، أي أنها ممارساتٌ تعويضيةٌ على المستوى الخاص في المكونات الغذائية الثقافية إن صح التعبير، وهذا ما استوقفنا في إحدى المقابلات التي أجراها الباحث، إذ يروي أحد اللبنانيين الذين عاشوا في BATHURST في خلال أربعينيات القرن العشرين، القصة التالية:

على الرغم من أن الطحينة كانت ترد بواسطة السفن من حينٍ لآخر، فقد كنا نقضي فتراتٍ طويلةً دون أن نستطيع تأمينها، كما كنَّا أحيانًا نشتهي الأطباق المُعَدَّة بالطحينة. اضطررنا أخيرًا إلى ابتكار حلّ: قرَّر والدي أو والدتي، لا أذكر بالضبط، بعد ملاحظة التشابه بين قوام زبدة الفستق والطحينة، مزج زبدة الفستق بالثوم والزيت، واستخدمناها كبديل للطحينة مع السمك المشوي، وفيما بعد، وعندما أصبحت الطحينة متوفرة على الدوام، كنت أحيانًا أشتهي صلصة زبدة الفسق.

وتقول إحدى المبحوثات إنه كان أمرًا لا يصدَّق، كنت أزور شقيقتي التي تعيش في الجانب الآخر من المحطة، وفي طريق العودة توقفت لشراء الفاصولياء لإعداد العشاء، وهناك رأيت ثمار الخيار، لمستها ثم حملتها وكانت مكتنزة، وشعرت بأنني ألمس والدتي (كانت والدتها تعيش في لبنان)، رآني شوقي، صاحب المحل، فابتسم وأومأ برأسه: "نعم إنه خيارٌ لبنانيٌّ من إنتاج المزارعين قرب ليفربول، لن نأكل بعد الآن تلك الثمار الرخوة".

[1] المرجع السابق، ص14.

[2] المرجع السابق، ص15.

وكان ذلك هو الاسم الذي نطلقه على الخيار الأسترالي، اشتريت كيلوغرامين، على الرغم من فقرِنا آنذاك، بثمنٍ باهظ، وتناولت واحدةً قبل مغادرة المحل، كان عادل، زوجي، كثيرًا ما يردّد أنه مشتاقٌ إلى طعم الخيار اللبناني، وعندما عاد من العمل يومها، أعددتُ سلطة الخيار والبندورة مع الثوم والليمون كما أشتهي، أحضرت الطبق وطلبت منه أن يغلق عينيه، ثم وضعت الطبق على المائدة أمامه، وعندما فتح عينيه ونظر إلى الطبق أدرك فورًا سبب تلك الجلبة كلها، ثم (ضحكت) ... (قاطعها زوجها وهو يضحك: لا تخبريه... لا تحرجيني).

المبحوثة (وهي تضحك): نهض وقبَّلني، وبدأ يرقص ويغنِّي: يا عيني عالخيار، (ضحك الجميع)، قد يبدو الأمر سخيفًا الآن، لكن الخيار جعلنا نشعر بالسعادة، فعلًا شعرنا كأننا التقينا بقريبٍ عزيزٍ بعد طول غياب[1].

ونلاحظ من هذا المشهد البيتي الحميم الذي خلقته ثمار الخيار عناصر الحنين التي استثارها وجود الخيار، كما نلاحظ أيضًا كيف أن ممارسات تعزيز إيحاءات الحياة في لبنان ويمثِّلها في المشهد المذكور صنع السلطة، وهو ما جعل ثمار الخيار تهب الألفة المنزلية المأمولة منها، هي في الوقت نفسه ممارسات إنشاء موطن "هنا والآن"[2].

الخاتمة:

يبدو واضحاً عند دراسة الهجرة وإشكالية الهودية أنَّ الهجرة قد شكَّلت موضوعًا خصبًا للدراسة لكل العلوم، خاصة وأن العديد من المهاجرين لم يتنازلوا عن ثقافتهم وهويتهم حتى وإن انتقلوا إلى بلد آخر أو تعلموا لغة أخرى، وكان من الواضح أنَّ المهاجرين –على الأغلب– حافظوا على معالم الهوية الثقافية التي اكتسبوها من بلدانهم فكان من الصعب عليهم أن يغيروا أنماط حياتهم وخاصة ما يتعلق بالمأكل والمشرب وطرق إعداد الطعام، وقد تبيَّن معنا هذا الأمر بالتفصيل في سياق الدراسة.

قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد خواجة، "الذاكرة الجماعية من مرآة الأغنية الشعبية"، تونس: منشورات البحر الأبيض المتوسط، أكتوبر 1998.
- أنتوني غدنز، "علم الاجتماع"، ترجمة وتقديم: فايز الصياغ، ط4، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005.

[1] المرجع السابق، ص 18–19.

[2] المرجع السابق، ص20.

- بيار يونت – ميشال إبراز وآخرون، "معجم الأنطولوجيا والأنثروبولوجيا"، ط1، بيروت، 2006.
- حسام الدين علي مجيد، "انبعاث ظاهرة الهويات: قراءة في منظور المفكر الكندي تشارلز تايلور"، موقع "مؤمنون بلا حدود"، 2016/12/22م.
- خالد اعسو، "الهجرة المغربية إلى فرنسا (1912–1974) أي موقع للشباب"، مجلة عمران، العدد 22، خريف 2017.
- ستيوارت هول، "حول الهوية الثقافية"، مجلة إضافات، العدد الثاني، ربيع 2008، ص139.
- صامويل هنتنغتون، "صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي"، ترجمة: طاعت الشايب، ط2، دار سطور.
- عبد الكبير عطوف، "كتاب الهجرات العالمية والمغربية قضايا ونماذج (1045–2011)"، ط2، الرباط: جامعة ابن زهر، 2012.
- عبد الله العروي، "مجمل تاريخ المغرب"، الجزء الثالث (من الغزو الإيبيري إلى التحرير)، ط2، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2000.
- عزام أمين، "سيكولوجيا المهاجرين استراتيجيات الهوية واستراتيجيات التثاقف: دراسة تحليلية نظرية"، الدوحة: مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 2016.
- علي أسعد، "الهويات الأصولية في زمن التصادم"، دمشق: وزارة الثقافة، فبراير 2010.
- غسان الحاج، "الهجرة ودور الذاكرة والطعام في عملية إنشاء موطن"، مجلة إضافات، العدد الثاني ربيع – لبنان، 2008.
- محمد المستاري، "إشكالات مرتبطة بموضوع ظاهرة الهجرة الخارجية: إشكالية الهوية نموذجًا"، موقع الحوار المتمدن، 2011.
- محمد غربى وآخرون، "الهجرة غير الشرعية في منطقة البحر الأبيض المتوسط: المخاطر واستراتيجيات المواجهة"، ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع، 2014.
- محمد هاشمى، "مهاجرون في مواجهة الامتناعات النظرية"، مؤسسة "مؤمنون بلا حدود"، مجلة يتفكرون، العدد 11، 2017.
- المصطفى المريزق، "الهجرة المغربية وسؤال الهوية والمواطنة في ضوء الدستور الجديد"، المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، عدد مزدوج 109–110، مارس ويونيو 2013.